كانت أزمة الجنوب الوطنية والاجتماعية قبل وجود المقاومة الفلسطينية . وكان كل ما «ينتظره» الجنوب أن تأتي المقاومة لتكشف الازمة ولتساعد على يقظته السياسية وتحركه ونمو قواه الجديدة الحية الكامنة فيه التي طالما طمست واضطهدت وكبتت !

وبدأت اعتداءات اسرائيل على الحدود وعلى القرى الامامية . وانكشف التناقض . كانت الانعزالية اللبنانية ترفض باستمرار ان ينخرط لبنـــان في الصراع الوطني وفي الصراع العربي المشترك ضد اسرائيل . وقد أبقت لبنان باستمرار ضعيفا على الصعيد العسكري وعملت على اخراجه من حلبة الصراع أثناء الحروب العربية النظامية ضد اسرائيل (عام ١٩٤٨ — ١٩٥٦ — ١٩٦٧ — ١٩٧٣) . واذا كانت هذه الحروب ظلت خارج الارض اللبنانية ، فان حرب المقاومة الفلسطينية اصبحت على هذه الارض وعلى الحدود . هل يصبح لبنان عربيا أي منخرطا في الصراع ، أم هو حيادي .. ضعيف .. لا قدرة له ، ولا علاقة له ؟ هذا هو التحدي الذي أطلقه الوجود الفلسطيني على أرض لبنان . وكان جواب الانعزالية اللبنانية « قوة لبنان في ضعفه ، الضمانات الاجنبية ، البوليس الدولي الخ » .

وكان حزب الكتائب أكثر هذه القوى الانعزالية تصلبا وتأكيدا علـــى العزلة وعلى رفض الوجود الفلسطيني ، وعلى رفض تحميل لبنان اية مسؤولية فعلية في الصراع العربي الاسرائيلي . لذلك حمل حزب الكتائب منذ انطلاقة المقاومة لواء معاداة الوجود الفلسطيني . وكان أكثر ما أرعب الانعزالية اللبنانية في الوجود الفلسطيني هو انكشاف هذا التناقض في الوضع اللبناني ... لبنان يعيش اقتصاديا من العالم العربي ، ويرفض سياسيا ان يكون جزءا منه !

وانفجر « الحقد الكتائبي » على الفلسطينيين بتعبئة مستمرة متصاعدة ، لم يكن حادث عين الرمانة الحادث الاول ، انما سبقته عدة صدامات . ولكن التعبئة المستمرة ضد الوجود الفلسطيني كانت تعكس خوف الانعزالية اللبنانية من انكشاف وضعها ومن تفجر التناقض اللبناني نفسه . وكان أكثر ما يخيفها ويرعبها هو عجز الاطار التقليدي الطائفي من امتصاص « العامل العربي » كما حدث في المرحلة السابقة (في أحداث عام ١٩٥٨) . فالعامل العربي هذه المرة هو القضية الفلسطينية التي أصبحت قضية داخلية في لبنان ، وجزءا من تكوينه الجماهيري نفسه .

تخلخل التوازن التقليدي ، انكشفت الازمة ، وتفجر التناقض .

هذا ما عبر عنه حزب الكتائب حين أخذ يحمل الثورة الفلسطينية مسؤولية فقدان **التوازن التقليدي** السابق في لبنان . تقول جريدة « العمل » : (قبل هذا .. كـــان اللبنانيون ، رغم الاختلاف التقليدي الذي يعتبر حقيقة موضوعية لا جدال فيها يتدبرون أمرهم ما بينهم . بعض التساهل من هنا ، يقابله بعض التساهل من هناك ، وتستقيم الحال ، ويتأمن التوازن .. ويتأمن للحكم أيضا الرضى الشعبي النسبي وتصبح كلمته وقراراته مقبولة من الفريقين بدلا من أن يرفضها فريق ويقبلها الفريق الآخر .. هذا حتى قامت الثورة الفلسطينية متخذة من لبنان مقرا لها . وكما يقول الشيخ بيـــار الجميل : « فلسطين كلها أصبحت في لبنان روحا وجسدا » !.. وبصرف النظر عما اذا كان التواجد الفلسطيني ، كما هو الآن ، حسنا أم سيئا ، منظما أم فوضويا ، ففي مطلق الاحوال لقد أحدث اختلالا في الحياة اللبنانية .. اختلالا في التوازن)(٢)!

اختلال التوازن التقليدي .. هذا هـــو سبب « الحقد الكتائبي » علـــى التواجد الفلسطيني . ولكن الكتائب لا تريد أن تعرف ان التوازن التقليدي في لبنان ليس سرمديا